



فيما تنسحب سوريا

الحدث يوم امس كان لا-حدثاً: مجلس الوزراء لم يبحث في الانسحاب السوري الجزئي الجديد الذي حصل في اليومين السابقين. "المصادر" التي نقلت الخبر لم توضح اذا كان الحاضرون على علم بتفاصيل هذا الانسحاب او حتى بمجرد حصوله. "مصادر" اخرى اكدت قبل ذلك للصحف ان المسؤولين السوريين (لم تحدد من منهم) اتصلوا عشية الانسحاب برئيس الجمهورية على الشاطئ الفرنسي، حيث كان يمضي بعضاً من ايام عطلته.

لكن لا هذه "المصادر" ولا تلك افادت اذا كان رئيس الجمهورية قد احجم عن طرح الموضوع امام مجلس الوزراء لانه اعتبره لا-حدثاً ام لانه اعتبر ان الوزراء ورئيسهم لا شأن لهم في هذه القضايا المصيرية، ولعله في هذه الحال على حق، بدليل اللا-حدث الآخر الذي اثار حياة لبنان السياسية هذا الاسبوع. فقبل احجام مجلس الوزراء عن تناول الانسحاب السوري الجديد، تألق مجلس النواب في تجاهله لعملية الانسحاب الجارية فيما هو منعقد في جلسة استجابات متلفزة.

وما يزيد من خطورة اللا-حدثين انهما تليا اشارة ولا اوضح سمعها عدد لا بأس به من الوزراء والنواب عشية الانسحاب السوري الاخير، خلال حضورهم الاحتفال بالعيد الوطني الفرنسي في قصر الصنوبر، اذ قال السفير فيليب لوكورتية بالحرف: "ها قد اكتملت شروط استرجاع لبنان ليس فقط ازدهاره، لكن ايضاً استقلاله الكامل في مناخ اقليمي هادئ" ("النهار، ١٥ تموز ٢٠٠٣).

فعندما يأتي هذا الكلام على لسان ممثل دولة تميزت في كل عقد التسعينات بممارستها الرقابة الذاتية على خطابها المتعلق بالعلاقات اللبنانية - السورية منعاً لأي التباس قد يدفع بعض اللبنانيين الى المغامرة من دون حساب، تصبح لامبالاة الوزراء والنواب، ناهيك بالرؤساء، علامة فارقة لضحالة الطبقة السياسية.

ليس من الصعب التكهن بدوافع النواب الى هذه اللامبالاة الظاهرة: ممثلو "حزب التلازم" وهم يشكلون ٩٠ في المئة من المجلس يحتاجون الى بعض الوقت حتى يهضموا الخبر ويشتموا اتجاه الريح الذي سينقل اليهم، بعد حين، التوجيهات الاخوية لتجديد يقينهم المهتز، ونواب المعارضة القلائل الذين نجوا من المجازر الانتخابية يضعون ايديهم على قلوبهم خشية منهم ان يفسر كلامهم تشقياً فيستعدي المسؤولين السوريين ويدفعهم الى وقف انسحابهم، وكأنهم صدقوا ان سوريا لا تسحب قواتها تحت الضغط. اما دوافع الوزراء فأبسط بكثير: هم في مناصبهم لتسيير الاعمال الجارية، او للايحاء بذلك، ريثما يحين وقت استحقاقات لن يُسأل رأيهم فيها.

ربما نقسو عليهم عندما ننسب اليهم مثل هذه الدوافع ونطالبهم برأي، فعذراً. ليس فقط لأن لا رأي لمن لا يُطاع، بل لأن لا رأي لمن لا يرى. لا يرون فضيحة مالية - سياسية على باب بيتهم تتحوّل بقدرة قادر "فضيحة" بحت مصرفية بعد تشذيبها من كل ما يمكن ان يطول مسؤولين لبنانيين او سوريين واولادهم، فكيف لهم ان يروا الانقلاب في الجغرافيا الاستراتيجية وفي الفكر السياسي الذي يطرق باب سوريا. حتى بين المعارضين، كان من الصعب قبل اشهر وجود صدى للتحليل القائل بأن الانسحاب السوري لم يعد ضرباً من الوهم. واذا كان هذا التحليل اتسع الآن، بعد تهاوي اصنام "البعث" في العراق واللعب الاميركي على اعصاب "البعث" المتبقي في دمشق، فان معظم



المعارضين لا يزالون يترددون في الاقرار بأن الخروج العسكري السوري من لبنان صار لناظره قريباً. فكم بالحري اعضاء "حزب التلازم" واركانه ورؤساؤه الذين ما فتئوا يرددون ان سوريا قوة لا تهون ولا تتراجع حتى انتهوا الى تصديق انفسهم.

ولكننا ما دمنا على عتبة مرحلة جديدة، فقد يطيب التسامح. فلنعترف لهم اذاً بظروف تخفيفية. كثير من الحق عليهم، هذا صحيح. غير ان بعض الحق ايضاً على المسؤولين السوريين. ليس لأن هؤلاء اعتادوا التكنم الى حد انهم ينسون اطلاق مرديهم من اللبنانيين الى اين هم سائرون، بل لانهم عهدوا المراوغة الى حد لم يعودوا يعرفون انفسهم متى يخرجون منها وإلى أين.

فكل ما اتى من دمشق منذ شهرين، نصف اصلاح من هنا وربع انفتاح من هناك، يوحي بأن قدرة المسؤولين على استشراف الافق لا تتعدى الاسبوع في احسن الاحوال. ولنا في نشاز الاوركسترا السورية - اللبنانية عندما تعزف كلاسيكياتها الاقليمية اثبات وازن على ذلك: تنطلق ابواق "حزب التلازم" لتشجب غياب سوريا (والحاقاً لبنان) عن قمة شرم الشيخ العربية - الاميركية ولا تعود تسكت، واذ ينطق اخيراً قائد الاوركسترا، يستغرب كيف ينسب له انه اراد الذهاب الى القمة وهي لا تعنيه، وتعاود الابواق الكرة للمطالبة بتخصيص سوريا (والحاقاً لبنان) بـ"خريطة طريق" اخرى ولا تنفك تعزف على هذا المنوال اسابيع واسابيع حتى يحرك القائد اخيراً عصاه ليقول مجدداً ان الامر لا يعنيه.

غير ان الظروف التخفيفية لا تجدي الا في معرض التسامح مع العمى الماضي، ولا تبرر في حال من الاحوال ان يبقى الطاقم الحاكم اللبناني مختبئاً وراء اصبعه. فاذا كان عجز المسؤولين السوريين عن استشراف ما قد يحصل بعد اسبوع يفسر احجام مواليم اللبنانيين عن رؤية ماذا يحدث امام اعينهم، فما الذي يبرر لهؤلاء عدم تنبهم الى الخطوات التي تنتهي دمشق الى الاقدام عليها، ولو على مضض. لا يرون، نعرف، ولا يقرأون الصحف، هذا مفهوم، ولكنهم الا يسمعون ايضاً، ونحن نعلم من طمأنة "المصادر" لنا ومن الصحف التي نقرأها ولا يقرأون، انهم يتلقون الاتصالات التي تنبهم بحصول الخطوة قبيل حصولها؟ ام تراهم اقتلعوا من اذهانهم ملكة التفكير بأنفسهم ونبذوا اي جراءة فما عادوا قادرين حتى ان يتوجهوا الى أولياء نعمتهم بالسؤال البسيط الذي تبادر الى كل مواطن: وماذا بعد؟

بتعبير اوضح: ماذا بعد "الانسحاب الرابع"؟ سنسلم جدلاً انه فعلاً الرابع، كما قيل في سوريا، والاصح انه الثاني بعد الذي حصل قبل حرب العراق. فالانسحابان الأولان في بداية عهد الرئيس بشار الاسد اندرجا في سياق مختلف اختلطت فيه رغبة امتصاص حركة المعارضة اللبنانية الأخذ في الاتساع مع ارادة اعطاء صورة جديدة عن سوريا بعد حافظ الاسد، فيما الانسحابان الأخيران يأتيان في سياق تحول استراتيجي يشمل كل منطقة الشرق الاوسط وحركة سوريا فيها، فضلاً عن انهما ينمّان عن بداية اقتناع دمشق بان وجود عسكريها في لبنان الى نهاية، بدليل اخلاء مواقع على مقربة من حدودها في عكار وبعلبك.

وفي اي حال، ليس المهم عدد الانسحابات الحاصلة حتى الآن، المهم هو معرفة عددها الاجمالي وتسلسلها وحجمها ونوعيتها والزمن المتبقي قبل استكمالها. فمتى يحصل "الانسحاب الخامس"؟ وما الذي سيليه؟ انسحاب سادس، سابع، عاشر؟ وما الذي ستشملة الانسحابات المقبلة؟ الوحدات العسكرية وحدها ام عناصر المخابرات، وهي للتذكير لا تزال في مواقعها في بيروت، في حي الرملة البيضاء؟

طبعاً، ليس مضموناً ان يحصل المسؤولون اللبنانيون على الاجوبة الشافية ان طرحوا هذه الاسئلة. لا بأس، فالجواب الحقيقي لن يتأخر كثيراً بعد الآن. لكن الاسئلة قد تكون اكثر فائدة من الاجوبة،



على الاقل من منظار مستقبل السياسة اللبنانية. فكيف لهذه السياسة ان تستقيم اذا ظل القيمون عليها صامتين فيما سوريا تنسحب وتتركهم عراة حتى من تهمة التبعية؟

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000695	
Media	(Support)	HC
Title		فيما تنسحب سوريا
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/٧/١٨ 18/7/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	فيليب لوكورتييه - بشار أسد
	Locations	لبنان - سوريا - فرنسا - دمشق - مصر - شرم الشيخ
	Dates	١٥ تموز ٢٠٠٣
	Themes	لبنان - سوريا - عملية انسحاب - سوري - علاقات لبنانية سورية - نظام بعثي - حرب عراق - انسحاب خامس - تلازم مسارين - حزب تلازم - سوريا نظام - حزب بعث سوري - اميل لحود - معارضة - حزب بعث عراقي - مجلس وزراء - مجلس نواب - جريدة نهار - فيليب لوكورتييه - قمة شرم شيخ عربية أميركية - اميل لحود - بشار أسد - خريطة طريق - طاقم حاكم لبناني - مسؤولون سوريون - مسؤولون لبنانيون - معارضة لبنانية - حافظ أسد - شرق أوسط - مخابرات سورية
Subject		